

النقد استعداد إنساني وميل فطري في أساسه، فما من شخص إلا وله تصورات وآراء تبدو معجبةً أو متحفظةً أو رافضةً لمشاهد وأفكار يبيديها الآخرون، ومن هذه النوازع الفطرية بدأت فكرة النقد، فكل عمل إبداعي يصاحبه نقد، وأنه على قدر نشاط الإبداع الأدبي وتنوع أشكاله ودرجته من الجودة يكون النقد.

إنّ تتبع المسار التاريخي لتطور فن النقد الأدبي يحيلنا إلى الحديث عن مجموعة مراحل متعدّدة، فإذا تأملنا النقد في العصر القديم نجد أنّ العرب كانوا يطلقون أحكاماً اعتبارية على بعض القصائد والأبيات بالجودة أو الرداءة، وعلى الشاعر بالامتياز عمّن سواه، ثمّ تطور النقد فصنّفوا الشعراء في مراتب وطبقات وفق مقاييس وأسس معينة، وكتاب "محمد بن سلام الجمحي" الموسوم بـ(طبقات فحول الشعراء) خير دليل على ذلك، وتطور الأمر بعد ذلك فظهرت كلمة نقد في العديد من المؤلفات النقدية لنقادنا القدامى؛ فكان (نقد الشعر) و(نقد النثر) لـ"قدامة بن جعفر" و(العمدة في صناعة الشعر ونقده) لـ"ابن رشيق القيرواني".

وفي العصر الحديث تجاوز النقد الأدبي مفهومه الدقيق، ذلك التعريف الذي يحصره في التمييز بين رديء الشعر والنثر أو جيّد، ليصل إلى تفسير العمل الأدبي وتحليله وتقويمه وفق مناهج علمية واضحة ومقاييس نقدية سليمة.

ويتفق كلّ الدارسين على أنّ الحركة النقدية في المغرب العربي عموماً والجزائر خاصة، استطاعت بفعل سلسلة من جهود النقاد والباحثين المغاربة إغناء الرصيد النقدي العربي وإمداده بمجموعة من المساهمات النوعية في مجال تحليل النصوص الأدبية، سواءً أتعلق الأمر بالشعر أم بالقصة القصيرة أم بالرواية، وقد تأتّى لهذا الحقل المعرفي بلوغ هذا المستوى من العمق والغنى، نتيجة استفادته من التجارب النقدية العربية الأخرى.

إنّ الحديث عن تطور الحركة النقدية في الجزائر يجرنا إلى الحديث عن ما يسمى بأزمة النقد الأدبي، التي عطلت سيرورة حركتنا النقدية في مرحلة ما بعد الاستقلال، بسبب قلّة المهتمين بالمجال النقدي مقارنة بحركة الكتاب الإبداعية والتأليف، وهي مرحلة طبيعية لا يسعنا إلاّ أن نقدر مجهودات الذين ساهموا فيها، ونقد

ظهرت في الساحة الأدبية النقدية وجوه حاولت أن تتجاوز النقد التقليدي أبرزها الناقد الجزائري "محمد مصايف" - رحمة الله عليه - بوصفه فصيلة نقدية متميزة في الجزائر، والجدير بالذكر هنا أن "محمد مصايف" كان موضوع دراسة قام بها بعض الباحثين، أهمها دراسة الناقد الجزائري "محمد ساري" الموسومة بـ (النقد المنهجي وتطبيقاته عند محمد مصايف)، وهي عبارة عن مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، ومن البحوث الجامعية نجد المذكرة التي أنجزتها الطالبة "بن ناصر حنان"، لنيل شهادة الماجستير، التي حملت عنوان (تطور النقد المنهجي عند محمد مصايف)، والمذكرة المقدمة لنيل شهادة الليسانس، المعنونة بـ (نقد الشعر عند محمد مصايف، جماعة الديوان في النقد أنموذجاً)، للطلبة الآتية أسمائهم: "كريمة قرامدي"، "سعاد ميرود"، "حميدة العيدي". كما تحدّث "يوسف وغليسي" عن ناقدنا "مصايف" في كتابه (النقد الجزائري الحديث من اللانسونية إلى الألسونية) وإن كان باقتضاب شديد، كما نجد الناقد "شريط أحمد شريط" هو الآخر تناول هذا الناقد بالدراسة في سياق حديثه عن حركة النقد في الجزائر، في كتابه (الإشارات مقاربات في الأدب والثقافة والفكر).

لقد كانت إسهامات "محمد مصايف" في تطوير النقد الجزائري كبيرة بالنظر إلى تنوع دراساته ومؤلفاته النقدية التي تجمع بين الشعر والنثر (الرواية، القصة، المسرح)، فقد أسهم في تطوير النص الإبداعي الجزائري، سواءً من حيث مبناه أو معناه، وعرف به في كثير من المنابر، والمواضع، وباعتباره من أهمّ الأعلام النقدية في الجزائر ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا، فاخترنا عنوان:

(التجربة النقدية عند محمد مصايف)

وكان لاختيارنا موضوع النقد الجزائري والتجربة النقدية عند "محمد مصايف" أسباب عديدة نذكر منها:

* إبراز ذلك الكم الدقيق من الآراء النقدية الكامنة في أغوار الكتب والمجلّات، ووضعها أمام مرأى العيون.

* إبراز إسهامات ناقد كبير من النقاد الجزائريين الذين كتبوا في النقد والرواية والشعر، وأنثروا في الساحة النقدية الجزائرية بإسهاماتهم القيّمة.

* كما جاء اختيارنا لهذا الموضوع بغية إزالة الضبابية التي شابت أذهان العديد ممن يرمون الأدب والنقد الجزائريين بالوهن والضعف، وإلى الذين ينكرون أن للجزائر نقداً ونقاداً.

* وقع اختيارنا على ناقد جزائري ومتمن جزائري، نظراً لما شاهدناه من اتجاه وانكباب نقادنا ودارسينا على دراسة ما يكتبه أدباء ونقاد مشاركة وغربيين، إيماناً منا بضرورة الانطلاق من الذات للوصول إلى الآخر.

وفي هذا السياق نجد أنفسنا أمام مجموعة من التساؤلات، التي يطرحها الموضوع، منها:

- ما هي أبرز التطورات التي عرفتتها حركة النقد في الجزائر؟.
- في ماذا تمثلت إسهامات "محمد مصايف" النقدية، وما هو الجديد في تلك الإسهامات؟.
- ما هي المنطلقات والأسس النقدية التي احتكم إليها "مصايف" في دراساته؟.
- وإن كان لـ"محمد مصايف" تجربة نقدية، تُرى ما منطلقاته في التأسيس لهذه التجربة؟.

وللإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا على خطة تكونت من مقدمة تطرقنا فيها لجميع العناصر التي يجب أن تتوفر في كل مقدمة بحث أكاديمي، ومدخل عنوناه بـ(محمد مصايف والنقد الأدبي)؛ تحدثنا فيه عن السيرة الذاتية والأدبية لـ_____أقْدنا، وعن حركة النـ_____قد في الجزائر، والمنهج الذي اتبعه "مصايف" في مقارباته النقدية، وفصل أول موسوم بـ(اتجاهات النقد الأدبي وقضاياها عند محمد مصايف)، قسّمناه إلى مبحثين؛ أحدهما خصصناه للحديث عن النقد المشرقي من

خ_____لال دراستنا لأراء "محمد مصايف" في نقد وأدب جماعة الدي_____وان، وثانيهما كان للنقد المشرقي، تطرقنا فيه إلى أنواع النقد الذي ظهر في المغرب العربي من نقد تقليدي وتأثري، وصولاً إلى النقد الواقعي، أمّا الفصل الثاني فكان للحديث عن (الشعر واتجاهاته وخصائصه الجمالية)، تناولنا فيه الشعر التقليدي مفهومه ومميزاته، ثمّ الشعر التأثري أو كما يقول عنه "مصايف" الشعر الرومانسي الذي تناولنا فيه خصائص هذا الشعر وما تميز به من جماليات وخصائص فنيّة، وعرّجنا

للحديث عن الشعر الحر الذي ظهر متأخرا في المغرب العربي مقارنة بنظيره في المشرق، وفي الفصل الثالث عملنا على مناقشة مواقف وآراء "محمد مصايف" عن (فنون النثر الجزائري الحديث)؛ من قصة قصيرة ورواية ومسرحية، وما تميزت به هذه الفنون، وما ساهمت به في الثورة التحريرية والاجتماعية التي قامت بعد الاستقلال.

وفي دراستنا لكل ما تقدم اعتمدنا على مناهج ساعدتنا في البحث، نذكر منها المنهج التاريخي الذي ساعدنا على تتبع المسار التاريخي لتطور التجربة النقدية عند الناقد "محمد مصايف"، وكذلك المنهج الوصفي الذي سهّل علينا عملية جمع الآراء وتصنيفها وتحليلها.

هذا وقد اعتمدنا في هذا البحث على مصادر ومراجع نذكر منها: مؤلفات "محمد مصايف": (جماعة الديوان في النقد)، (النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي)، (الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام)، (دراسات في النقد والأدب)، وغيرها. ومراجع أخرى منها: (كتاب النثر الجزائري الحديث) لـ "عبد الله الركبي"، و(الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية) لـ "محمد ناصر"، و(النقد الجزائري الحديث) لـ "عمار بن زايد"، و(اتجاهات الرواية العربية في الجزائر) للروائي والناقد "واسيني الأعرج".

هذا وقد واجهتنا في دراستنا هذه جملة من الصعوبات نذكر منها: صعوبة الحصول على بعض مصادر البحث والمتعلقة بمؤلفات الناقد "محمد مصايف"، خاصة إصداراته في الدوريات والجرائد، وقلة الدراسات السابقة للموضوع، وإن وجدت فإنها تتناول الموضوع من زوايا مغايرة لما درسنا.

وفي الأخير نشكر كل من ساهم في انجاز هذه المذكرة، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف، الدكتور: بشير تاوريريت.